﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦﴾

[الأنبياء: 26]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الـحـقُّ واحـدٌ والباطلُ يتنوّعُ ويتعدّدُ

لَمّا بَيَّنَ اللّه تعالى بالدَّلائِلِ الباهِرَةِ في قوله ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ كَوْنَهُ مُنَزَّهًا عَنِ الشَّريكِ والضِّدِّ والنِّدِّ، وفرغَ من بيانِ باطلِهم فيما اتّخذوا من دون اللّه آلهةً انتقل إلى بيانِ باطلٍ آخرَ، فأَرْدَفَ ذَلِكَ بِبَراءَتِه عَنِ اتِّخاذِ الوَلَدِ، فجاءت هذه الآيةُ[1]، فانتفى بذلك كلُّ فردٍ يُطلقُ عليه هذا الاسمُ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مُّكۡرَمُونَ﴾: الكرمُ وصفٌ لا يقال إلّا في المحاسن الكبيرة، وهو اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يُحمَدُ ويُثنى عليه لأوصافِه الجميلةِ، وكلُّ شيءٍ شرُفَ في بابِه في نفسِه، أو في خلقٍ من أخلاقِه، فإنَّه يوصَف بالكرم، فيقال مَلَكٌ كريمٌ، وعرشٌ كريمٌ، وكتابٌ كريمٌ، ورجلٌ كريمٌ، والإكْرامُ والتَّكْريمُ: أن يوصَلَ إلى الإنسانِ إكرامٌ، أي: نفعٌ لا غرضَ له فيه ولا مصلحةٌ، أو أنْ يُجعلَ ما يوصَلُ إليه شيئًا كريمًا، أي: شريفًا، وقوله في الآية: ﴿عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾ بمعنى جعْلهم كرامًا بتقريبِهم وتفضيلِهم ورفعةِ منزلتِهم[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

كمالُ المخلوقِ في تحقيقِ عبوديتِه للّه تعالى وأن لا يقدِّمَ قولَه على قولِ اللّه ورسولِه

كذَّبَ اللّه تعالى من جعلَوا للّه ولدًا، فأخبرَ أنَّ فريقًا من المشركين قالوا: الملائكةُ بناتُ اللّه، وهم خُزاعَةُ مِنْ سُكّانِ ضَواحي مَكَّةَ الذين

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 134، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 49.

(2) أبو حفص النسفي، التيسير في التفسير: 10/ 385، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 135، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 50.

كانوا يَزْعُمونَ أنَّ المَلائِكَةَ بَناتُ اللّه وشارَكَهُم في هَذا الزَّعْمِ بَعْضٌ مِنْ قُرَيْشٍ وغَيْرِهِم مِنَ العَرَبِ، فردَّ اللّه تعالى عليهم منزِّهًا نفسَه عمّا وصفوه به، وأكَّدَ إبطالَ قولِهم فأخبر عن الملائكةِ بأنَّهم عِبادٌ مخلوقونَ له تعالى، فهم ملكُه، لكنَّهم مشرَّفونَ مقرّبون عنده في منازلَ عاليةٍ، ومقاماتٍ سامية، فليسوا هم بأولاد؛ إذ عبوديّتهم تُنافي أن يكونوا أولادًا للّه ﷻ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الوصلِ بالواو في قوله ﴿وَقَالُواْ﴾:

جاءتِ الآية ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ معطوفةً على قولِه ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ﴾، والجامعُ بينهما هو أنَّه تعالى لمّا علَّق بالإيحاء إلى الرّسل منشورَ التّوحيد، وتوقيعَ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ وجعلَه مقرَّرًا عندَ جميعِ الرّسل، عطفَ عليه هذه الآية للتّعجيبِ من قولِهم والإنكار عليهم، فكان قولُه تعالى ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ ذريعةً وتخلصًا إلى قوله: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ﴾[2].

التّعجيبُ منَ الإشراك باللّه مع أنَّ الرّسلَ جميعًا جاؤوا بالتّوحيد

دلالةُ التّعبير بالماضي ﴿وَقَالُواْ﴾:

عبَّرَ بصيغة الماضي في قوله ﴿وَقَالُواْ﴾؛ للإشعار بوقوعِ قولِهم القبيح وإظهارِهم له من غيرِ استحياءٍ منهم على هذا القولِ، وجيء بالكلامِ بحكايةِ قولِهم لإظهار بُطلانِ مقالتِهم وبيانِ تنزّهه تعالى عن ذلك إثرَ بيان تنزّهِه سبحانه عن الشركاء على الإطلاق[3].

إظهارُ القولِ القبيحِ، ونشرُه يدلُّ على عدم استحياءِ صاحبِه منه

الغرضُ من إسناد الفعلِ إلى ضمير الجماعةِ:

عبَّرَ بضمير الجماعة في قوله ﴿وَقَالُواْ﴾؛ لإفادةِ أنَّ من قال هذا

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 49، والنسفي، مدارك التنزيل: 2/ 400، والمراغي، تفسير المراغي: 17/ 21.

(2) الطيبي، حاشية على الكشاف: 10/ 329.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 63.

القولَ القبيح الشّنيعَ هم جماعةٌ من النّاس، وأنَّهم لم يكتفوا باعتقادِه بل قالوه واجتمعوا على اعتقادِه وإعلانِه، ففيه توبيخٌ شديدٌ لهم، وتقبيحٌ لقولِهم لاجتماعِهم عليه، وقد ذكر المفّسرون أنَّ جماعةً من المشركين وهم قومٌ من خزاعةَ وغيرِهم قالوا: الملائكة بنات الله[1].

أشنعُ منَ القول القبيحِ الاجتماعُ عليه وإظهارُه بين النّاس

نكتةُ التّعبير بلفظِ ﴿ٱتَّخَذَ﴾:

لمّا كان الاتّخاذُ بمعنى حَوزِ الشّيء وتحصيلِه بقوّة[2]، أفادَ التّعبيرُ بلفظ ﴿ٱتَّخَذَ﴾ معنى المبالغة في الاتِّخاذِ والتّقريبِ كما يُبالغُ في الحوزِ والتّحصيلِ والاجتهادِ فيه مَنْ يكونُ له ولدٌ لحاجتِه إليه؛ للإيذانِ بعِظمِ قبحِ مقالتِهم واعتقادِهم، وعظيمِ إشراكِهم بالله تعالى.

سفاهةُ المشركين في نسبة اتّخاذ الولدِ لله ﷻ

الغرضُ من إسناد الفعلِ إلى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾:

لمّا أُسنِدَ فعلُ الاتّخاذِ إلى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ في قولِه: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا﴾ كان التَّعرّضُ لعنوان الرّحمانية مُنبئًا عن كون جميع ما سواه تعالى مربوبًا له تعالى نعمةً منه، أو مُنعَمًا عليه؛ لإبراز كمالِ شناعةِ مقالتِهم الباطلةِ[3]، مع تضمينِ الكلامِ دليلًا آخر على افترائِهم، وفيه كذلك بيانُ أنَّه لولا رحمانيَّتُه تعالى لصبَّ عليهم العذابَ صبًّا بسبب قبحِ هذه المقولةِ وشناعتِها، وأيضًا في التّعبير بوصفِ الرّحمانيَّةِ إشعارٌ بتماديهم في طغيانِهم وكفرِهم مع توالي نعمِ الله عليهم، لأنّهم وصفوه بالرّحمن المُنبئ عن إحساسِهم بنعمِه العظيمة.

لـولا رحمانيَّةُ الله تعالى لصَبَّ عـلى المشركين العذابَ صبًّا

غرضُ تنكيرِ المفعول به ﴿وَلَدٗا﴾:

جاء لفظُ ﴿وَلَدٗا﴾ منكَّرًا في قولِه ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ لتجهيل القائلين في مقولتِهم، فلو عرفوا الله تعالى لَما نسبوا إليه ولدًا، كما أنَّ في التّنكير معنى التّحقير والإهانةِ، بمعنى

تجهيلُ القائلين فـي نسبة الولد لله تعالى وتحقيرُ مقولتِهم

(1) البغوي، معالم التنزيل: 3/ 286، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 49.
(2) الراغب، المفردات: (أخذ).
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 63.

تحقيرِ مقولةِ أن يكون للّه تعالى ولدٌ، والّذينَ قالوا ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ أرادوا أنَّهُ اتَّخَذَ بَناتٍ، كما قالَ تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ﴾ [النّحل: 57].

سرُّ التّعبيرِ بجملةِ الاعتراض ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾:

لفظُ التّسبيحِ هو مَجمَعُ تنزيه اللّه تعالى وأعظمُهُ وأشرفُهُ

سبَّح اللّهُ تعالى ذاتَه، بلفظ ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ وهو مَجمَعُ التّنزيه، وأعظمُه وأشرفُه، وسرُّ مجيء التّسبيح بعد ذكرِ مقالتِهم القبيحة في قولِه ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ هو بيانُ الدّليل على بطلانِ قولِهم، فالوَلَدَ لا بُدَّ أنْ يَكونَ شَبيهًا بِالوالِدِ فلَوْ كانَ للّه ولَدٌ لَأَشْبَهَهُ مِنْ بَعْضِ الوُجوهِ، وفي الاعتراض بهذه الجملة مبادرةٌ بالتّنزيه والتّقديس.

بلاغةُ الإضراب بـ﴿بَلْ﴾:

العبوديّةُ تنافي الولادةَ

(بل) في قولِه ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ للإضراب الإبطاليّ؛ لِتفيد إبطالَ ما قبلَها وردَّه، مع إثباتِ ما بعدها وتقريرِه[1]، ليفيدَ ما بعدَها قصرَ الموصوفِ على الوصفِ قصرًا إضافيًّا مع بيانِ الدّليلِ على بطلانِ ما أُضربَ عنه بطريقة أخرى سوى التّسبيحِ، لأنَّ دليلَ التّسبيحِ دليلٌ ناشئٌ من وصفِ ذاتِه الشّريفة، ودليلَ الإضراب في قولِه ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ ناشئٌ من أوصافِ الملائكة وكلٍّ من هو عبدٌ للّه تعالى، ولمّا كان الكلامُ هنا لإبطالِ المقالةِ التي صدرت عن بعضِ المشركين، ويدخل معهم النّصارى واليهودُ الذين جعلوا للّه تعالى ولدًا، كان الإبطالُ على سبيلِ الرّدِّ، والمعنى: ليس كما قالوا وما قالوه باطلٌ، إنَّما هم عبادٌ للّه أكرمهم بعبادتِه، والعبودية تنافي الولادةَ[2].

الغرضُ من حذف المسندِ إليه في قولِه ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾:

من أجملِ الأوصافِ التي تليق بالملائكة أنّهم عبادٌ مكرمون

تقديرُ الكلام في قولِه: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾: بل هم عبادٌ

(1) ابن مالك، شرح التسهيل: 3/ 369.

(2) الطبري، جامع البيان: 18/ 428، والزمخشري، الكشاف: 3/ 112، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 135.

مكرمون[1]، ونكتةُ حذف المسند إليه(هم) أنَّه لمّا أفادت ﴿بَلْ﴾ الإبطالَ، كان الكلامُ على معنى القطعِ لاستئنافِ كلامٍ آخرَ، وهذا من المواضعِ التي يكثر فيها مجيءُ المسندُ (الخبر) من غيرِ مسندٍ إليه (المبتدأ)[2]، لتوجيه النّظر إلى المسنَدِ، ولأنَّ محطَّ الحكم عليه، وللإشعارِ بأنَّ المسندَ ممّا لا يكونُ لغير المسنَدِ إليه المعلومِ من سياقِ الكلامِ لتقدِّمِ ذكرِه لفظًا، أو معنىً.

الغرضُ من تنكيرِ المسنَد ﴿عِبَادٌ﴾:

أفادَ تنكيرُ لفظِ ﴿عِبَادٌ﴾ في قولِه ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ تفخيمَ العبادِ المكرمين، وأنَّهم ليسوا مثَل سائرِ العبادِ، وفيه تنبيهٌ إلى كثرةِ عبادتِهم للّه تعالى ومداومتِهم عليها واستغراقِهم فيها، إذ وصفُ العبادةِ مُشعرٌ بملازمتِه للموصوفِ.

كثرةُ عبادة الله تُعلي قدرَ العابد وتُعظم منزلتَه

سرُّ تقييدِ المسنَد بالوصف ﴿مُّكْرَمُونَ﴾:

جاءت الصّفةُ ﴿مُّكْرَمُونَ﴾ قيدًا للموصوف في قولِه ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾، بيانا لمكانتهم عند ربهم، وردًّا على مقالةِ العرب في الملائكة والنَّصارى في عيسى بن مريم واليهودِ في عزير، وإشعارًا بأنَّ اصطفاء اللّه تعالى لبعضِ عبادِه وتكريمِهم قد يكون سببًا في نسبة بعض القومِ ما يتنزّه اللّه تعالى عنه، وإيذانا بجهلِ أصحابِ هذه المقولةِ باللّه تعالى وبصفاتِه الكريمة[3].

كـثرةُ العـبـادة ترقّى بالعابدِ إلى منزلة الإكرامِ

نكتةُ التّعبير بصيغة المبنيّ للمفعول ﴿مُّكْرَمُونَ﴾:

عبِّرَ بصيغة المبني للمفعول في قولِه ﴿مُّكْرَمُونَ﴾: للإشعار بأنَّ من قال هذه المقالةَ جاهلٌ بأنَّه تعالى هو الذي أكرمَهم وأنَّ عبادتَهم

لا مزيةَ للملائكة في أنفسِهم، ولا كرامةَ، لولا أنَّه تعالى هو الذي أكرمَهم

(1) العكبري، التبيان في إعراب القرآن: 2/ 916.
(2) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 147.
(3) الزمخشري، الكشاف: 3/ 112، وابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 79، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 63.

له سبحانه وقربَهم منه بفضلِ كرمِه عليهم، فلا مزيةَ لأنفسِهم ولا كرامةَ لولا أنَّه تعالى هو الذي أكرمهم، كما أنَّ في التَّعبير بصيغة المبنيّ للمفعول رعايةً للفاصلةِ ومناسبةً لرؤوسِ الآي.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والثلاثون،
سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 33 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-75-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 33 : المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-75-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1130605 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»